أسئلة وإشكالات الكتابة القصصية المُوجهة إلى الأطفال في ميزان البحث

Questions and problems of fictional writing directed at children in the balance of research

د. محمد سيف الإسلام بوفلاقة [1، *]

[1] جامعة باجي مختار عنابة - الجزائر

تاريخ الارسال : 2021-01-16؛ تاريخ القبول : 2021-03-28 ؛ تاريخ النشر : 2021-05-03

ملخص:

ينهض أدب الأطفال بدور متميز في تكوين شخصية الطفل، إذ يغرس فيه مجموعة من القيم الذاتية والإنسانية، ويُسهم في تطوير الحس الجمالي والفني لديه ومرافقة، ورعاية مواهبه الكامنة، وإن المتأمل في دلالات وأبعاد مصطلح أدب الأطفال يُلفي تعريفات كثيرة عربية، وغربية في المصادر النقدية العربية والأجنبية ؛ فقد وجدنا صاحب موسوعة(كاسل)يُنبه إلى أن الكتابات الأدبية الموجهة إلى الأطفال سواء كانت قصصية أو شعرية، تختلف اختلافاً كبيراً عن الكتابات التي تُوجه إلى الكبار على أساس بعض الاعتبارات الأساسية من بينها: المدى اللغوي والمفهومي المتاح للكاتب، والذي يحدد الإدراك والتذوق غير الناضجين لجمهور قرائه من الأطفال. وتناقش هذه الدراسة مجموعة من الأفكار، والرؤى العلميّة التي تتصل بأسئلة، وإشكالات الكتابة القصصية الموّجهة إلى الأطفال؛ فالكتابة للأطفال تقتضي وجود وعي بشتى الأبعاد الحضارية، والثقافية، والقدرات الجمالية، والنفسية لدى المتلقي ؛ إذ أن السرد القصصي له إمكانيات كبيرة على التأثير من خلال الحبكة القصصية الممتازة، التي لها جملة من الأهداف الكثيرة منها: التربوية والتعليمية والترفيهية، ومن شأنها أن تحقق النجاح من حيث الأسلوب.

الكلمات المفتاحية: أسئلة ؛ إشكالات ؛ الأطفال ؛ ميزان ؛ البحث.

Abstract:

children's literature plays a distinct role in the formation of the child's personality, as it instills in it a group of self and human values, and contributes to the development of his aesthetic and artistic sense, accompaniment, and nurturing his latent talents, and that whoever contemplates the connotations and dimensions of the term children's literature covers many Arab and Western definitions in sources Arab and foreign cash; We have found the author of the

* المؤلف المرسل: saifalislamsaad@yahoo.fr

Encyclopedia (Castle) warns that literary writings directed at children, whether fictional or poetic, differ greatly from writings directed at adults on the basis of some basic considerations, including: the linguistic and conceptual range available to the writer, which determines immature perception and taste For an audience of children reading.

This study discusses a set of ideas and scientific visions that relate to the questions and problems of story writing directed at children. Writing for children requires awareness of the different cultural and cultural dimensions, and the aesthetic and psychological capabilities of the recipient. As the storytelling has great potential to influence through the excellent story plot, which has a set of many goals, including: educational, educational and entertainment, and that will achieve success in terms of style.

Keywords: questions; Problems; Children; Balance; search

مهاد: القصة القصيرة

يُمثل فن القص شكلاً سردياً ينتمي إلى حقل دلالي له صلة بالسرد، والخبر، والرواية، والحكاية، وله قالب منطقي يستعمله الإنسان للتعبير عن مفهومه للحياة، ورؤيته للوجود، كما يُبرز تصوراته في علاقته بالكون، لذا فهو يمثل الوسيلة المثلى لإدراك تحولات الشرط الوجودي للجماعات البشرية.ومن هنا فقد أضحى لزاماً على علم الاجتماع، وعلم النفس أن يُوليا عناية خاصة بفنّ القص في أي مجتمع من المجتمعات باعتباره حاملاً لمجموعة من القيم، والتصورات التي يسعى الدارس لإدراكها من خلال ظهورها في النص القصصي [1]. وقد لاحظنا لدى مراجعتنا لمختلف المعاجم العربية التليدة أن المفهوم الاصطلاحي للعمل القصصي يفتقد إلى تحديد شامل يضبط ماهيته، ويُحدد أصوله، وحدوده، وأبعاده، وقد حاول بعض النقاد من رواد النهضة العربية الحديثة وما بعدها تحديد بعض العناصر، وتقديم بعض الرؤى المتنوعة التي ترمي إلى إبراز خصوصيات اللون القصصي، كما ألفينا لدى متابعتنا لأهم المعطيات الدلالية المقدمة من قبل النقاد العرب أنها تُجمع على أن القص هو «فعل إنساني تعبيري يمسح حدثاً واقعياً، أو متخيلاً، ويحسم من خلاله، وبوساطة القول(الملفوظ أو المكتوب)عينة لواقعة من وقائع الحياة... وهي فن العرض وتقديم الحادثة بالكيفية التي تلائم موضوعها، والسياق المقدمة فيه، والغاية التي تنشدها، والمحيط الذي يتلقاها، إنها جميعاً عوامل متحكمة في البنية القصصية» [2].

إن العمل القصصي يُصور جزءاً من الحياة، كما هو معروف، وليس الحياة كلها، وهو يختار عيّنة معينة منها، تتجلى من خلال شخص معين، منفرد، أو متميز، أو قد يتجسد العمل القصصي في موقف محدود مجتزأ يقف عنده، وهو بذلك يعرض للحياة في أجزائها، أو في وقائعها الصغيرة، أو في نقاطها العابرة، والحق أن قيمة العمل القصصي لا تتبدى إلا في النهاية، حيث تأتي نقطة التنوير التي تضيء كل ما سبق من حدث أو موقف أو شخصية، وتمنحه قيمته، وعندئذ يتم فهم ذلك العمل وتبرز قيمته، ولذلك لا نتعجب عندما نجد أن القصة القصيرة تحظى باهتمام كثير من القراء، وتُنشر في الصحف بكثرة، ولا تأخذ كثيراً من الوقت أو الجهد، وهي سهلة القراءة ومُسلية ومُفيدة، كما تضم بين طياتها قيماً فكرية وفنية، قد يمر بها القارئ مروراً سريعاً، بيد أنه كثيراً ما

يسأل عما وراء القصة من معان وقيم وأفكار [3]، وهي بمفهومها البسيط قالب من قوالب التعبير، يركز فيها الكاتب على سرد أحداث معينة، تجري بين شخصية وأخرى، أو شخصيات متعددة، يستند في قصها وسردها على عنصر التشويق حتى يصل بالقارئ أو السامع إلى درجة معينة، أو نقطة محددة، وقد تتأزم فيها الأحداث وتُسمى(العقدة)، ويصبو من خلالها القارئ أو المتلقي إلى الوصول إلى الحل، ويتطلع إلى فكها حتى يصل إلى نهاية الأحداث، ويشترط بعض نقاد القصة التأثير في النفوس، والشعور بالأشياء المسرودة شعوراً كاملاً قوياً، وخلق نظام متسق من فوضى الحياة، وفي هذا الصدد يذكر بعض النقاد أن كاتب القصة يجب أن يترك في نفوسنا بقصته أثراً نُحس معه بواقعية الحياة، وواجب القصة أن تُقدم لنا الأشياء على صورة نُحس بها إحساساً قوياً وكاملاً، وواجب القاص أن يخلق من فوضى الحياة نظاماً متسقاً في قصته[4]. والحق أن فن القصة يجيء في مقدمة الفنون الأدبية رواجاً وتكاملاً في العصر الحديث، ولعل رواجه وتكامله–كما يذكر بعض النقاد– يرجعان إلى أنه من بين الفنون الأدبية جميعاً، يعد الأقرب إلى الحياة الإنسانية، نظراً لما ينقله من أحداث ويصور من أشخاصها ويرسم من بيئاتها ويُبرز من عاداتها وأخلاقها، كما يُحلل شتى الأوضاع، ويسبر من نفوس الشخصيات، ويُعلل من تصرفاتهم، ويعرض من مجالات الصراع بين الأفراد والجماعات، ويبدو أن انتشار فن القصة يعود إلى الإمكانات التي توفرها له معطيات الحضارة الإنسانية، سواء من جهة التأليف أم من جانب النشر والتعميم والرواج، حيث إن الأديب القصاص يحتك احتكاكاً مُباشراً بالحياة العامة في شتى الأقطار، ومُختلف المستويات، ويعرف تجارب الناس المتنوعة، وظروفهم المتباينة، فيُبرز من خلال إبداعه ما يُصيبهم من خير وشر، أو سعادة وشقاء، ويعود من هذه المعاناة(التجربة)العميقة لمشاكل الناس المتعددة، بملامح الواقع، يجمعها ويرتبها ويكون منها قطاعاً حياتياً، واسعاً أو ضيقاً، ويُحاول في عرضه أن يُشوق ويؤثر، حتى يصل بقرائه إلى غاية يريدها، وهدف يقصد إليه، تأييداً لعقيدة يؤمن بها، أو إصلاحاً اجتماعياً يريده، أو قيماً أخلاقية يسعى لإبرازها، أو في أضعف الحالات، غاية التسلية يبعثها في نفوس أولئك القراء، والقصة هي سرد مشوِّق ذو غاية، لأحداث وأعمال، يقوم بها أشخاص معينون في بيئة معينة[5].وقد يتم توظيف القصة حتى تعمل على إدماج القارئ في الحياة، وتُمكنه من تحليل النماذج البشرية، وتبسيط قضايا الحياة الإنسانية في مختلف مجالاتها، وتزويد الفرد بمناح ثقافية متنوعة، ومتعددة[6].

ويؤكد بعض النقاد على أن القصة بوصفها فناً لا يُمكن أن تقوم، إلا إذا كان هناك فنان يحسن الكتابة والتعبير، ويجيد السرد والإخبار بأسلوب شائق ومؤثر، والسرد المشوق يُقصد به الأسلوبية الخاصة التي تتميز بالتشويق والترغيب من أجل الوصول إلى امتلاك القارئ، واجتذابه للتأثير فيه، وقد أشار جملة من الدارسين والنقاد إلى أنه لابد للقصة من «لغة سليمة مطواع مرنة تنقل، بجمال وبساطة، وقائع القصة، ولابد من سياق يضبط الأحداث، ويُولدها فتأتي محبوكة، لا تناقض فيها أو شرود، تبدأ بمقدمة جذابة تُفصح عن جو الأحداث والأبطال، مُحاولة نقل القارئ إلى هذا الجو، ثم يبدأ تعقد الأحداث وتشابكها، حتى يصل إلى الذروة حيث يُمسك القارئ أنفاسه، وتنشط مخيلته في استباق النتائج وتخيل النهايات» [7].وتتجلى روعة فن القصة وبراعتها في رواية الأحداث المألوفة الواقعية، إذ تميل بعض النصوص إلى إيضاح الجوانب التاريخية للعمل القصصي، ذلك أن القص

نشاط فني متجذر في الثقافة الإنسانية منذ فجر التاريخ، وله مجموعة من الخصائص من أبرزها التركيز على سمو اللغة المكتوبة، كونها المعبرة عن الأحاسيس والمشاعر ووصف الحياة، ويقترح الباحث الخوري طانيوس منعم مجموعة من الشروط لإنجاح القصة، من بينها (8):

- لابدّ أن يكون للأديب غاية يهدف إليها من وراء الحوادث التي يسُوقها، أو الأشخاص الذين يُصورهم، بل لعل الغاية هي التي تخترع الحوادث أو تنتقيها، كما تخلق الأشخاص أو تختارهم، إذ لابدّ من فكرة معيّنة تعتمل في عقل الأديب ونفسه، فينظر في قطاعات الحياة المختلفة، ليصطاد منها ما يُبرز فكرته ويدعمها، فتستهويه حادثة دون أخرى، ويتصدّى له إنسان دون إنسان، وتظهر بيئة دون غيرها.
- هذه الغاية نراها في جميع القصص دون استثناء، حتى في أتفهها، كقصص اللهو والمغامرات.
- تُعتبر الحادثة أو الحوادث، المحتوى الأساسي للعمل القصصي، رأينا الأديب يخترعها، أو يختارها، وهي في الحالتين يجب أن تكون واقعية مما يحدث في الحياة أو مما يُمكن أن يحدث. كما يجب أن تكون مركّزة في وحدة عمل ووحدة موضوع، فلا تنفصل أو تتنافر، بل تتطور بالتوالد الطبيعي، الذي يجعل منها مرقاة منفرجة نحو العقدة، ومنزلقا ضيقا نحو الحل.
- لابد للحوادث من شخص أو أشخاص يقومون بها، منهم الرئيسيون ومنهم الثانويون.
- فبطل القصة أو أبطالها هم الذين يسلّط عليهم الأديب أضواءه، يُحرّكهم حسب أدوارهم في تحقيق الأحداث، وتنفيذ الأعمال ويجعلهم ينطقون بلسانه على أن يكونوا من صميم الواقع، فلا يتصرفون بما لا ينسجم مع شخصياتهم، ولا يتكلمون إلا بما يتناسب مع طبيعتهم.

إن أهمية الأشخاص أو الحوادث تختلف بين قصة وأخرى. فهناك قصة الحادثة التي يهتم فيها الأديب بالسرد والإخبار، غايته إبراز الحوادث وتكثيفها تحقيقا للفكرة التي تتضح من خلال هذه الحوادث.وهناك قصة الشخصية التي يعتني فيها الأديب بالأشخاص وطبائعهم وأخلاقهم وتصرفاتهم، فالحوادث ليست إلا وسيلة لإبرازهم وكشف نفسياتهم. ومما لا يشوبه أدنى شك أن أهم الأدوار التي تؤديها القصص الأدبية الموجهة إلى الأطفال ترمي إلى تنمية الثروة اللغوية، وصيغ التراكيب اللغوية الصحيحة، وبذلك فهي تُجنبه الوقوع في الأخطاء، وتُمكنه من معرفة اللغة التي يتعلم بها، ويتخاطب بها مع أقرانه العرب، ولاسيما في ظل وجود ما يُعرف بالازدواجية اللغوية، واللُّغات الشعبية المتعددة في إطار البلد الواحد، والشعب الواحد على مستوى الوطن العربي، فالقصص تُعلم اللغة العربية الفصحى الوسطى، وترتبط عملية التنمية اللغوية للطفل بمساعدته على التخاطب السليم بلغته، ذلك أنها تُعلمه النطق الدقيق، من حيث سلامة مخارج الألفاظ، وجودة الإلقاء، وتنمية قدرته على التعاطي مستقبلاً مع الأعمال الأدبية الراقية، كما أنها تُنمي روح الانتماء إلى الوطن، وهذا الأمر يتبدى في القصص التي تُبرز الوطن لا كصورة شاعرية مجردة، وإنما بصفته يشكل منبتاً للخير، والنماء، والعطاء، وتعمل قصص الأطفال

على تنمية الميول القرائية في شخصية الطفل، إذ تُحببهم في المطالعة، والقراءة، والتأمل في الكتب، والمجلات، والصحف التي تحتوي على أقسام خاصة بالأطفال، وهذا ينعكس إيجاباً على تنمية المقدرة اللغوية، ورفع حصيلة المعجم، فحُب الطفل لوسائل المعرفة يخلق في نفسيته حالة من الشعور، والاندفاع، والانسجام تتمثل في تفاعله، واندماجه مع المادة القرائية، وعشقه لها، بغرض إشباع حاجاته، وإثارة عواطفه، وانفعالاته، وهو تنظيم وجداني يتسم بالثبات، ويُعطي الفرد انتباهاً، واهتماماً لموضوع محدد، كما يشترك في أنشطة إدراكية، أو عملية[9] ترتبط به، ويشعر بقدر من الراحة في ممارسته لهذه الأنشطة .

أسئلة وإشكالات الكتابة القصصية الموجهة إلى الأطفال في ميزان البحث

ينهض أدب الأطفال بدور متميز في تكوين شخصية الطفل، إذ يغرس فيه مجموعة من القيم الذاتية والإنسانية، ويسهم في تطوير الحس الجمالي[10] والفني[11] لديه ومرافقة ورعاية مواهبه الكامنة، وإن المتأمل في دلالات وأبعاد مصطلح أدب الأطفال يُلفي تعريفات كثيرة عربية وغربية في المصادر النقدية العربية والأجنبية، فقد وجدنا صاحب موسوعة(كاسل)يُنبه إلى أن الكتابات الأدبية الموجهة إلى الأطفال سواء كانت قصصية أو شعرية، تختلف اختلافاً كبيراً عن الكتابات التي تُوجه إلى الكبار على أساس بعض الاعتبارات الأساسية من بينها: المدى اللغوي والمفهومي المتاح للكاتب، والذي يحد الإدراك والتذوق غير الناضجين لجمهور قرائه من الأطفال، في حين أن الاعتبار الثاني يتعلق بعملية الكتابة والتسويق، حيث إن هذه العملية تقوم بها مجموعة من الأطراف ليست هي المستهلك الحقيقي لأدب الأطفال، ومن الواضح أن أياً من هذه العوامل لا يؤثر في نمط الأدب الموجه إلى الأطفال، غير أن وجودها يؤدي إلى ظهور أدب للأطفال تشوبه عاطفة متوقدة إلى درجة المبالغة فيها أحياناً، أو تكون مفعمة بالعناصر التعليمية في أحيان أخرى[12]، ومن المفيد أن ننبه إلى تباين واختلاف المعايير والمقومات الخاصة بالكتابات الأدبية الموجهة إلى الأطفال من إنسان إلى آخر، بيد أنه يجب الحرص على عرض الكتابات الأدبية الجيدة والمتميزة، ولعل أبرز عنصر يجب أن يطفو بالنسبة إلى القصص التي تُعرض هو عنصر التشويق الذي ينطلق مع بداية الكتاب، ومقطعه الأول مهم جداً، لأنه بناء عليه يُحدد الطفل إذا كان يرغب في استكمال قراءة الكتاب، أم لا، لذلك فالبدايات تكتسي أهمية بالغة، ومن الأحسن أن تنطلق من نقطة مثيرة تشد انتباه الطفل، حتى تكون موفقة، والكتاب الجيد هو الذي يُنمي السلوك الاجتماعي، ويضع الخطط بالنسبة إلى الحياة في المستقبل، ويزيد من معارف الطفل، ويضعه في أدوار الكبار، وذلك من خلال توظيف اللعب، والتخيل، حتى يستطيع تخيل حياته في المستقبل، كما يُنمي ملكة الخيال لديه، فعنصر الخيال في كتب الأطفال مهم جداً، كونه يتصل بالإبداع، ومن الأفضل أن يكون كتاب الطفل مُساهما في الإحساس بالكلمة، ومعناها، ويُنمي المدارك اللغوية، فنحن نُفكر عن طريق اللغة، ونؤثر بها على طرائق تفكير الطفل[13].

ومن بين الأفكار التي قدمها الباحث الدكتور جلال فاروق الشريف عن أدب الأطفال إشارته إلى مجموعة من العناصر المشكلة لدلالات وأبعاد أدب الطفولة، فهو يُعده وجهاً من وجوه الإبداع الأدبي، وليس فعالية جانبية

أو هامشية أقل شأنا من غيرها، حيث إنه من خلال هذا العنصر يدعو إلى عدم التقليل من شأن الإبداع الأدبي الموجه إلى الأطفال، ويرى أنه يتطلب موهبة أدبية حقيقية شأن أي إبداع أدبي أصيل، وهو يُشكل جزءاً من العملية التربوية التي يتلاحم معها، ويقتضي توفر المعرفة العلمية بالطفولة، وبعالمها السيكولوجي، الذي يُعد عنصراً أساساً وهو يتكامل مع العملية التربوية، كما يستوجب(أدب الأطفال) وجود إحاطة بالشروط الثقافية والاجتماعية العامة السائدة في المجتمع، إذ يجب أن يتوجه أدب الأطفال إلى إنماء المحاكمة العقلية والمعرفة العلمية، ومن الأفضل أن يُحقق أدب الأطفال توازناً دقيقاً بين تنمية الحياة الانفعالية للطفل، وبين حياته الفاعلة، فلا يستمر الجانب الانفعالي على حساب الحياة الفاعلة والعقلية، ويضاف إلى هذا الأمر أن الحياة الواقعية يجب أن تُشكل مصدراً أساسياً لأدب الأطفال بمختلف شروطها وقيمها وتطلعاتها بما فيها عالم الطبيعة والحيوان، أي النتاج التاريخي للعالم الواقعي، كما أن التعبير بالصورة الخيالية في أدب الأطفال يجب ألا يتعارض مع مهمته التربوية ولا مع الحياة الواقعية ومعطياتها، واستخدام اللغة يجب أن يتسم بالشفافية، بحيث لا يُشكل أي عائق في نقل الصور والأفكار[14]. وإن لأدب الأطفال آثاره الإيجابية في تكوينهم، وبناء شخصياتهم، وإعدادهم ليكونوا رجال المستقبل، ورواد الحياة، ذلك أن الطفل هو الإنسان في أدق مراحله وأخطر أطواره، ومن ثمَّ فإن تركيز الاهتمام على الجانب الوجداني من حياة الطفل يفرض أن لا يعلوه أي اهتمام آخر، فهو (أدب الطفل) يقوم بوظائف التربية الجمالية والأخلاقية والنمو اللغوي، وهو خبرة لسانية تتم صياغتها بعناية في أشكال فنية، مما يجعل الأطفال يتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية، ويدخل على أنفسهم البهجة والمرح، كما يُنمي في شخصية الطفل الإحساس بالجمال، ويُمكن من تذوقه، ويدفعهم إلى عمل الخير وتقديره ومحبته، ويُطلق العنان لخيالهم وطاقاتهم الإبداعية، وهو يعد شكلاً من أشكال التعبير الأدبي، فله قواعده ومناهجه وطرائقه، سواء منها ما يتعلق باللغة ومدى انسجامها مع قاموس الطفل، ومع الحصيلة الأسلوبية للسن التي يؤلف لها، وهو مجموعة الآثار الفنية التي تصور الأفكار والأحاسيس والأخيلة التي تتفق ومدارك الأطفال، وتتخذ أشكالاً متنوعة، وتتسم بأسلوب سهل وسلس وواضح يخلو من التعقيد، ومن أبرز فوائد أدب الأطفال دعم التربية الصحيحة، وتعزيز العملية التعليمية، من أجل بناء شخصية الفرد السوي، والإنسان الذي يتميز بصفات الفكر والابتكار والإبداع، كما يعدهم للحياة في عالم الغد، بمتغيراته وعوالمه التقنية والتكنولوجية المتقدمة، ويُثري بيانهم الذي هو وثيق الصلة بالتفكير، ويقوم العمل القصصي الناجح بدعم القيم والصفات اللازمة لعمليات التفكير الابتكاري والإبداعي، مثل: دقة الملاحظة، والصبر والمثابرة، والتفكير الجاد المستمر، وتنمية التفكير الناقد والخيال، كما يؤدي إلى التعرف على العلماء والمخترعين وأهل الإبداع، من أجل الاقتداء بهم، كما يعلم التصرف السليم في شتى المواقف، من خلال تصرفات الأبطال الذين يعجب بهم الطفل ويقدّرهم، ويتبنى أساليبهم[15]. ويجب التأكيد على أن من أبرز الوظائف التي تؤديها قصص الأطفال هي الوظيفة التربوية، فالغاية التي يجب توخيها في قصص الأطفال تشمل ثلاثة أهداف أساسية هي:عملية تعليمية، ومادة لغوية، ومادة ثقافية، فقصص الأطفال بصفتها عملية من عمليات التعليم تحدث تغييرات في نفسية الطفل، وتؤثر بشكل كبير على القوة الإدراكية له، نظراً لما تزوده به من

صور وألوان جديدة من الخبرة والمعارف، وتؤدي إلى توسيع آفاقه الإدراكية، نظراً لما تزخر به هذه النصوص القصصية من معلومات ثقافية، وزاد معرفي، وتنوع يُوسع آفاق الطفل، ويزيد صلته بالحياة، وفنونها، وبما يضطرب فيها من أنواع السلوك والنشاط، كما أن القصص الموجهة للأطفال لها تأثير كبير على شعور الطفل وإحساسه، إذ أنها تثير وجدانه، وتؤثر على عاطفته، وتجعله ينفعل بما يقرأ من عواطف المحبة والكراهية، والتأييد والمعارضة، والرقة والقسوة، والهدوء والغضب، ونظراً لانتماء القصة إلى المجال الأدبي فإنها لاتخلو من عاطفة؛يتأثر بها الطفل، ومن ذلك عاطفة حب الوطن والتعلق به، ومشاركة المحزون والمفجوع، والخائف والمسرور والبطل، إلى غير ذلك من الانفعالات الإنسانية والعواطف الجياشة، ولقصص الأطفال قوة عملية تحدثها في الطفل بشكل لين رقيق تقف نتيجتها عند الإعجاب أو الرضا عما ورد في تلك القصص، وقد يشتد تأثيرها فتتحول إلى قوة محركة تدفع إلى نوع من السلوك العملي والتصرف الإيجابي، ويضاف إلى هذا الأمر أن قصص الأطفال تتشكل من مادة لغوية من حيث بناؤها وتركيبها وأسلوبها؛ ولها أهداف متعددة من بينها:

-تدريب الطفل على دقة فهم النصوص، وحسن استخلاص المعاني والدلالات المختلفة في شتى الحقول.

-تنمية ثروة الطفل اللغوية بوساطة القصص المحتوية على طائفة من الألفاظ الجديدة التي لم يكن الطفل يعرفها من قبل، وفضلاً عن المعاني والتراكيب المختلفة، فمن الأفضل ألا يعتمد كاتب النصوص القصصية على الألفاظ الصعبة والمثقلة بالمفردات الغريبة، كما أن حُسن صياغة النصوص السهلة التي لا يعسر على الطفل فهمها؛ يُبين مقدرة القاص، ويوضح مدى فهمه لعوالم الطفل ونفسيته ومستواه.

- تعويد الطفل على التذوق الأدبي، وذلك من خلال حسن اختيار وصياغة النصوص القصصية المشوقة للطفل، حتى يتمكن من هضمها وحسن استيعابها.

ويضاف إلى هذه الأهداف أن الأعمال القصصية الموجهة للأطفال تمثل مادة ثقافية إنسانية بمعانيها، إلى جانب كونها تضم بين طياتها المفردات والألفاظ والتراكيب والجمل، فهي تصبو إلى تحقيق غايات من بينها: فهم الطبيعة الإنسانية التي نُلفيها مجسدة ومصورة في الإنتاج القصصي كالكرم والبخل والأمانة والغدر، والإيثار والحقد، وهي تصور البيئة كذلك ونواحي الحياة الأخرى التي لا يُمكن أن يكتشفها الطفل بدقة ووضوح، إلا بوساطة القصص المتميزة بدقة في الحس وإجادة في التصوير، وسلامة في الذوق، كما أنها تسهم في تنمية خبرات الطفل من الجوانب الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية فيتعرف على المحيط والبيئة والأوضاع الاجتماعية التي يعيش فيها، نظرا لأن هذه القصص تصف الحياة على شمولها وتنوعها بجميع نواحيها الإيجابية والسلبية(16).

وبالنسبة إلى البناء الفني للقصة الموجهة للأطفال فيكاد يقع الإجماع على أن لافوارق كبيرة بين القصة التي كُتبت ليقرأها الكبار، والقصة الموجهة إلى الأطفال، حيث يذهب الناقد الدكتور مُحَّد مرتاض إلى القول في هذا الشأن: «فلا فرق بين قصة الكبار وقصة الصغار إلا في التبسط والتوضيح والتحليل والابتعاد عن

الغموض المُفرط أو التعقيد المموج، ولا بد بالإضافة إلى ذلك أن تشتمل القصة على مغزى أخلاقي يدفع الطفل إلى التفكير والتركيز» (17). بيد أنه لاينبغي الإسراف في الخيال إلى درجة لا تتفق مع مستوى الطفل، فالقصة تقتضي وجود مساحة معتدلة من الخيال تنسجم مع مرحلة نموه اللغوي والعقلي.

لقد استطاع أدب الأطفال من خلال بعض الإبداعات القصصية المتنوعة، والإرث الأدبي والتربوي الطفولي أن يُسهم في الارتقاء بذوق الطفل، ويُضفي لمسات شفافة وجميلة تدفع مخيلته نحو آفاق الإبداع، وتُشجعه على الابتكار والتفوق والتطلع إلى الجديد، ويُمكن اعتبار أن هذا النتاج الأدبي الذهبي قد ترك أثراً إيجابياً، من خلال مُخاطبة الطفل بما ينسجم مع مرحلته العمرية، وقد قدمت المكتبة الطفلية الكثير من المواعظ والمعارف والقيّم الأخلاقية للطفل، وتمكنت من توجيهه بطرائق أدبية غير مباشرة إلى سُبُل الإصلاح والتفوق، والأخلاق، والعمل، والمساواة، والمحبة، ولذلك فإن طفلاً يقرأ لهو متقدم على طفل لا يقرأ، وبناءً عليه فإن توجيه الطفل وتنمية مواهبه وذكائه، يتم من خلال صناعة أدب الطفل كجنس أدبي مستقل مُوجه إلى عالم الطفل، ويعد مُعيناً وداعماً لجهود الأبوين، وجهود الأساتذة في سبيل الحفاظ على الطفل الذي تُعلق عليه الآمال والأحلام، والأمنيات في العالم الإنساني كله، فكاتب أدب الطفل يعدّ قارئه الطفل كي يكون حاملاً لمنارة المستقبل، وهو يسعى بجهده كي يعزز في نفسه جملة من السلوكات المتصلة بقيم وتقاليد القراءة، كما أن أدب الطفل يُظهر له منزلتها وأولويتها بالنسبة لشخص يرغب في أن يكون له شأن، ولا يكون على هامش الحياة، فأدب الأطفال هدفه أن يعدّ طبيب المستقبل، ويعد عالم المستقبل، والمهندس، والقاضي، والأديب، والفنان، وولي أمر الناس في المستقبل، إنه يعد الهبة التي وهبها الله-ليس للوالدين فقط- بل للناس كافة، ولذلك فقد اكتسب أدب الأطفال أهمية بالنسبة لمختلف شرائح الناس، واكتسب كاتب أدب الطفل خصوصية تجعل الآخرين ينظرون إليه نظرة أبوية استثنائية، فالطفل يظل محتاجاً إلى عناية تربوية مُركزة من عائلته، وكذلك من قبل رياض الأطفال، ومن المدارس، ويبقى الطفل متأثراً بمختلف العوامل التربوية والبيئية التي نشأ وترعرع فيها، فقد جاء أدب الأطفال حتى يكون مُعيناً للمربي في تربية الأبناء، وقد قدم هذا الأدب من خلال الكُتّاب الذين نجحوا في هذا الميدان الكثير إلى شخصية الطفل في شتى مراحل تربيته، فهو محاولة للدخول إلى سيكولوجية الطفل ومُخاطبته من خلال هذا العالم، حتى يتعرف بشكل تدريجي على عالم الكبار، فهو يُشبه الخُطوات البطيئة التي تشبه عملية نمو الطفل حتى يقف ويمشي على قدميه، ويتعرف على الألفاظ، ويبدأ وعيه بالتشكل، والحق أن أديب الطفل هو مربيه ومعلمه الذي يرتقي به وفق مراحل عمره حتى تتفتح مدركاته على وقائع الحياة، والكبير عندما يُنتج أدباً مُوجهاً للصغير يُدرك جيداً أن عالمه مختلف عن عالم الكبير، وفي اللحظة التي يثق فيها بأنه يستطيع أن يُقنع الكبير بوجهة نظره نجده يتردد كثيراً في هذه الثقة بالنسبة إلى الصغير، فالصغير يعقد آمالاً واسعة جداً على الكبير فهو يُلقي على عاتقه آماله وأحلامه وأمنياته، والطفل هو ذاك الكائن البشري الأليف والوديع والمفعم بالحساسية تُجاه كل ما يرى ويسمع، وهو بحاجة إلى رقة وعذوبة واستيعاب لكينونته من خلال عائلته ومُحيطه، إن صفحة الطفولة هي صفحة البراءة والتلقائية

الإنسانية[18].ولقد تحول أدب الأطفال إلى جنس مُستقل يتمتع بخصائصه ومُقوماته وبتخصص أدبائه، وقد اهتم العالم برمته بأدب الطفل، والقصة هي أقرب أساليب التربية إلى مُخيلة الطفل وأكثرها قرباً من الطفل ؛ ذلك أن الطفل يترعرع على سماع الحكايات في البيت من أمه، أو من جدته، ونُلفيه يصحو ويغفو في بعض العائلات وهو يستمع إلى القصص والحكايات حتى يترسخ ذلك في نفسه، وعلى الرغم من تنوع وسائل ثقافة الطفل ونواقلها بين المؤسسة الأُسرية، ومختلف الوكالات والمراكز المتنوعة سواء أكانت رسمية أو شعبية، إلا أننا نجد أن القصة تعد عُنصراً مُهماً جداً ومهيمناً وسائداً، ففي علاقات الوالدين والإخوة تأتي حكايات الأجداد والآباء والكبار، وحكايات الخبرة اليومية المتجددة، وعلى المستوى المطبوع من كتب الأطفال، والمجلات والصحف والجرائد والنشرات والدوريات والسلاسل، نجد إحصائياً أن للقصة منزلة الصدارة، ومثل ذلك ما نجده في الوسائط الحديثة، والمستحدثة، وعلى المستوى المسموع والمرئي من الإذاعة، والتلفزيون، والسينما، والمسرح، ووسائل الاتصال الجماعي، في ذلك كله نجد القصة حاضرة في مجالات الثقافة: العامة، والدينية، والتاريخية، والعلمية[19]، ومما لا يشوبه ريب أن الصحافة الموجهة إلى الطفل، وفي طليعتها المجلات التي تُركز على نشر القصص الأدبية المتميزة، تؤدي بالطفل إلى محبة القراءة، وكلما قرأ اكتشف لغة جديدة .وسيُلفي نفسه بعد القراءة، والاطلاع في كل مرة يكتسب تعبيرات جديدة، وأساليب إنشائية بليغة، ومفردات فريدة، ومعارف لغوية مبسطة، ولكي تُحقق مجلات الأطفال هدفها في إيصال اللغة، وتنميتها عند الأطفال، يجب إدراج المفردات اللغوية في برامج التسلية حتى تصل الرسالة بطريقة مُحببة إلى الطفل، وهو يُمتع نفسه، ولابد من ضبط الكلمات بالشكل الصحيح لتمكين الأطفال من قراءتها قراءة جيِّدة، ولاسيما أواخر الكلمات في أقسام الزوايا اللغوية، ولا بد من توضيح الكلمات، أو العبارات فهناك بعض الحروف متشابهة، وقد تختلط على الطفل المبتدئ مثل: الدال، والراء، والذال، والزاي، كما يجب التنبيه إلى التفريق بين الحرف المضعف، وغير المضعف، فهذا الأمر له اعتباره في جداول الكلمات المفقودة، والكلمات المتقاطعة، وكذلك التفريق بين الألف المقصورة، والياء[20] .والحق أن التركيز على السرد القصصي، والأناشيد التي هي قصائد مسرودة بطرائق تربوية، وفقاً لمنهجية سليمة تُنمي ذاكرة الطفل، وتُوسعها، وتُؤثر في قدرته على التذكر، فالترابط الفكري يُساعد عملية تخزين المعلومات، وأدب الأطفال يجب أن يحرص على التنظيم المنهجي، وينتبه كُتّابه إلى ضرورة متابعة مستجدات علم النفس، والتربية، وعليه أن يستثمر الدراسات الحديثة التي تُمكنه من التفاعل مع عقل الطفل، ووجدانه، وسلوكه، وعليه استخدام الصور الفنية الجذابة التي تُبعد الملل، كما عليه أن يستخدم لُغة جميلة، ومُبسطة، ويجب التركيز على الجوانب الجمالية، والوظيفية في اللغة، فهناك بعض الفوارق بين الكتابة الوظيفية، والكتابة الإبداعية الفنية، حيث إذا اشتملت اللغة على جمال أداء الفكرة، وحُسن صياغة الأسلوب أضحت تلك الكتابة كتابة فنية إبداعية، وإن أدت هذه الكتابة أفكارها ومقاصدها بلغة سليمة، وواضحة، وليست فيها رمزية، ولم تعتمد على أسلوب بياني جميل أصبحت كتابة وظيفية، ولذلك فالمسألة تتصل بالوظيفة التي تؤديها اللغة، إذ أن وظيفة اللغة في الأدب ترتبط بالجمال، وجمالية التشكيل، وتظل وظيفتها جمالية في المقام الأول، أي أن غايتها التصوير إلى جانب وظيفتها التوصيلية، إذ أن هناك الجانب النفعي، والجانب

الجمالي [21].ويرتبط التذوق بجملة من الجوانب الجمالية، فتذوق الشيء، يُقصد به كما يرمي إلى ذلك جاكبسون في معرض حديثه عن التذوق إدراك قيمته إدراكاً يجعلنا نشعر به شعوراً شخصياً مُباشراً، وفي الآن نفسه نشعر حياله برابطة وجدانية، تدفعنا لتقديره وحبه، والاندماج فيه بحرارة، وحماسة نظراً للجمال الذي أضفاه على أنفسنا، وللتذوق على هذه الصورة أهميته الخاصة في مجال التربية، كما يشير إلى هذا الأمر الباحث أحمد نجيب، وذلك لجملة من الأسباب منها: إنه يحوي بين طياته إدراكنا لقيمة الشيء، وتعلقنا الوجداني به، ومن الطبيعي أن يكون أعظم رسوخاً في النفس، وأطول بقاء، وأكبر تأثيراً من سواه من الأمور التي يتعلمها الفرد، كما أن اللغة، وما تضمه من تراث أدبي، هي وسيلة من الوسائل التي تُمكننا من معرفة عالمنا الحاضر، وماضيه، ومن خلالها يصل إلينا التراث الإنساني، وما لم نصل إلى درجة مناسبة من فهم اللغة الجمالية، وتذوقها، فلن نتمكن من فهم هذا التراث، وتذوقه حق التذوق، وعلى الإنسان أن يُعنى بانتقاء ألفاظ لغوية لها جمالية، وتُفهم دقائقها، ويتم استعمالها بوضوح، وتحديد، وهو أمر لا يتم بصورة مرضية ما لم نصل إلى مرحلة التذوق الجمالي للغة، وللتذوق صلة وثيقة بالتذوق السليم، وتكرار التذوق يُمكن الفرد من معايير ذوقية، وجمالية سلبية قد تنعكس على تصرفاته الأخرى، فنراه يُحسن التمييز، فيُقدر كل ما هو جيد، وجميل، ويهدف في عمله إلى الإجادة، والإتقان، ولا ريب في أن التذوق اللغوي يزيد من استمتاع الفرد بلغته الجميلة، حينما يستعملها في الحديث، أو الكتابة، أو القراءة، وقد يفتح له آفاقاً رحبة فسيحة في رياض الفكر، وحدائق الأدب الغناء، وآفاق العلم، والمعرفة [22]، ويرتقي التذوق الجمالي بالجمهور من خلال وسائل الإعلام، ولو أخذنا القصة نموذجاً، ففي الأدب القصصي الموجه إلى الطفل «ما يُنمي هذا ويُثريه، إذ ينعكس ذلك على وجدان الجمهور، وروحه، ووعيه، ويكسبه دقة الملاحظة، وإدراك المعنى، والمفهوم، والإيحاء، والخيال، وغير ذلك من مهارات تُطور عمل الحواس، لاسيما إذا أحسنا اختيار النص القصصي، ووجهنا الطفل إلى إدراك مواطن الجمال في النص، ونمينا لديه عادة القراءة الذاتية...، والذوق شيء مهم في حياة الإنسان في كل زمان، ومكان، وعله أكثر دواماً، واستمراراً من الإنسان ذاته، لأنه ينعكس على ما يتركه الإنسان في حياته، وبعد مماته، فيصبح بذلك أكثر من الإنسان خلوداً، والدليل على ذلك ما نراه في آثار الحضارات المتعاقبة على مر السنين...، والذوق العام بمقدور الأمم، والأفراد أن يعملوا على ترقيته، والنهوض به، إذ يُمكن أن نغرس في نفوس الناس عشق الجمال، والإحساس به، واستجلاء محاسن الطبيعة، ومظاهر عظمة الخالق فيها، وفي ذلك تتدخل عوامل الشعور العام في البيئة الذي يؤثر بدوره في تنشئة الذوق، وبثه، وتنميته في نفوس أبناء هذه البيئة» [23].وقد أضحى الفرق بين اللغة الجمالية، والكلام العادي بيّناً وواضحاً«فاللغة الجمالية، أو الأدبية تتوخى غايتين:غاية أدبية، وأخرى توصيلية، وهذا يعني ازدواجية الوظيفة للأداء اللغوي الأدبي، وأحادية الوظيفة للأداء اللغوي الوظيفي، ولذلك فهناك فروق بين التعبير الوظيفي، والتعبير الإبداعي الجمالي، إذ إن التعبير الوظيفي تعبير موضوعي، الكاتب فيه غير مشغول إلا بالمسألة التي يريد توصيلها، فلا تظهر عواطفه، أو مشاعره، أو مواقفه، وتظهر الكتابة الوظيفية على شكل قوالب، مثل:التقرير، والخبر، والتحقيق، أما التعبير الأدبي، أو الإبداعي فتعبير ذاتي ينطوي على خصائص ذاتية من إبداع صاحبه، والنص الوظيفي لا خيال فيه، في حين يعتمد

النص الإبداعي اعتماداً كبيراً على الخيال، وليس المقصود بالخيال الوهم، بل هو القدرة على تكوين العلاقات بين أمور لا يكتشف علاقاتها إلا المبدع....» [24].

لقد أثبتت دراسات كثيرة أجريت في ميدان تعليمية اللغات، وعلم اللغة التعلّمي أن للقصة الأدبية الموجهة للأطفال أثراً كبيراً في تعلم التعبير والكتابة، وهي تؤثر بصورة جيدة على إثراء المحصول اللفظي، وتنبع أهميتها من أن لها صلة في إحكام النسج اللغوي عند المتعلمين، ومن أبرز الفوائد التي يُمكن جنيها من قراءة الأطفال للقصص تعلّم التسلسل في التفكير، من جراء ترتيب أحداثها وتسلسلها، وتتابع مجريات أمورها ووقائعها، ولذلك نجد الصغار يتابعون القصص باهتمام وشغف كبيرين، وهم يريدون أن يقفوا على الأحداث اللاحقة، بعد أن شد انتباههم توالي الأحداث الماضية، ولما كان الشأن على ذلك من تعلق الأطفال بالقصص، فإنه من الضروري أن يتم استغلال هذا الميل منذ الطفولة، واستثمار ذلك التعلق؛ لتعليمهم التعبير عن طريق القصة؛ لأن ذلك في النهاية يُساعدهم على إحداث التسلسل في تعبيراتهم بشكل لائق ومقبول، كما يُعلمهم الوحدة في التفكير والتعبير وتناول الأشياء ؛ وذلك بسبب أن القصة وحدة واحدة، ونسيج واحد، ومداومة النظر في القصص، والإدمان على قراءتها، وسماعها، من شأنه أن يؤدي إلى تعلّم الوحدة العضوية، مما يُسهم في تأثر الطفل القارئ وتنفيذ هذا الأمر في التعبير شفوياً كان أم تحريرياً، كما أنه يُعلمه التكامل في النظر إلى الأشياء؛ وذلك بسبب أنها وحدة متكاملة، يرفد بعض أجزائها بعضاً، وهناك إمكانية لاستغلال القصة من أجل تعليم اللغة العربية بشتى فروعها، وهذا هو المنحى التكاملي في دراسة اللغة، ولما كانت القصة بمختلف أنواعها ممثلة لجوانب الحياة، ولما كانت اللغة أداة للتعبير عن هذه الحياة، فقد كان تعلم التعبير بالنسبة إلى الأطفال عن طريق القصة أقرب إلى المسلك الطبيعي، وأبعد عن التكلف، وأيسر تعلماً، وأرسخ نتيجة ومضموناً، ولما كانت القصة تركز على الإثارة والتشويق والمفاجآت، فقد كان تعلم التعبير عن طريقها حافزاً للمتعلمين على استعمال هذه الأدوات التعبيرية؛ فطفقوا يستخدمون الإثارة والتشويق في كتاباتهم الموجهة إلى الأطفال، ومن المعلوم أن القصة تهتم برسم الشخصيات ووضعها موضع التحليل، بشكل غير مباشر؛ وذلك من خلال الكشف عن طبيعة سلوكها، وأنماط تفكيرها، وطرائق تعاملها مع الآخرين، ولأجل كل ذلك، فإن تعلم التعبير عن طريق القصة من شأنه أن يعوّد المتعلمين استخدام التعبير غير المباشر عن الأشياء، وهو مسلك تعبيري يُجدي الأخذ به في كثير من أنواع التعبير[25].

ولقد أكد عدة خبراء في مجال علم التربية وعلم النفس أن برنامج سرد القصص على الأطفال في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية يؤدي إلى تنمية ميول الأطفال في الاستمتاع بمضمون وأحداث القصص وما تتضمنه من قيم واتجاهات إيجابية، كما يهدف إلى توجيههم في هذه المرحلة من العمر نحو الصور والمطبوعات وإيضاح أهميتها وتلبية رغبات الأطفال في التعرف على كل جديد بالنسبة لهم، وكل ذلك يتحقق عن طريق سرد أو رواية القصص بطرائق صائبة، ومن أهم العناصر والأسس التي يجب توافرها في القصة الأدبية الموجهة إلى الأطفال أن تكون سهلة الأسلوب في كلماتها وعباراتها حتى يتمكن الطفل من فهمها وتتبع أحداثها، ومن الأفضل أن تكون

القصة قصيرة، بحيث لا يمل الطفل من الاستماع إليها حتى النهاية، وأن تتضمن القصة موقفاً وفكرة مُعينة تجذب انتباه الطفل، ويجب ألا تتضمن القصة المواقف المزعجة والمخيفة والمثيرة للانفعالات الحادة مثل: التعذيب المؤلم أو الظلم القاسي؛لأن مثل هذه المواقف تؤثر في شخصية الطفل وتكوينه العقلي والعاطفي تأثيراً سيئاً؛ لذا من الأفضل اختيار القصص التي تتميز بانفعالات المرح والحب والعطف والابتهاج، فمن حيث المضمون يفضل أن تكون أحداث القصة بسيطة ومصورة، وأن تكون الصور كبيرة، كونها هي لغة الطفل، كما يجب أن تتسم الصور بالحركة والنشاط والبهجة والألوان المؤثرة والزاهية، ويُفضل أن تكون القصة خالية من صور العنف، وتركز على السلوكات والقيم الإيجابية المرغوب في تجسيدها من قبل الكاتب في سلوك الطفل، ومن الأحسن أن تكون قريبة الصلة من عالم الطفل، فتتضمن إجابات عن أسئلة الطفل، وعما يحدث أو يدور حوله في الحياة، وأن تتميز بتنمية الخيال في الطفل، وتثير الرغبة والتفكير من أجل استكشاف الحقائق والمعلومات، ومن المفيد جداً للطفل أن يشكل الموضوع والصور والرسوم وحدة متجانسة ومتكاملة داخل القصة، أما الكلمات فتكون مساعدة للأطفال على فهم واستيعاب المضمون، ويُستحسن أن تكون الصور والرسوم كبيرة، وأن يكون للصور دور في تحقيق المرح والسعادة، وفي تنمية التخيل وتنشيط التفكير، وتقريب حب الكتاب والقراءة للطفل، من أجل تكوين اتجاهات إيجابية وتقديم المعلومات الحسية والعلاقات المكانية، ومن حيث الشكل يُفضل أن يكون غلاف القصة سميكاً وملوناً بألوان متميزة تجذب انتباه الطفل، وتجعله يُحس بالجمال، وأن يكون نوع الورق جيداً وسميكاً، وأن تكون حروف الطباعة مكتوبة بخط كبير، وأن يكون عنوان القصة مُناسباً لإدراك الطفل وموجزاً ومثيراً لانتباهه، حيث يدفع إلى التشوق للقراءة[26].

إن قصص الأطفال ذات الأثر التعليمي تتعدد أنواعها، وقد قسمها بعض نقاد أدب الأطفال إلى ثلاثة أنواع هي: القصص على ألسنة الحيوانات، وهذه القصص لها فوائد تربوية جمة؛ كونها تشكل مصدراً جيداً لربط الطفل بقيّم الوفاء والإخلاص والنبل، وترسيخ القيم الإيجابية في شخصيته، كما أنها تعمل على توسيع خيال الأطفال، وأخذ العبرة من الحيوانات وهي«أقدم أنواع الحكايات، وغالباً ما يكون أبطالها جميعاً من الحيوانات، وغالباً ما تكون ذات مغزى أخلاقي توجيهي للسامع، وتعرف بأنها عبارة عن شكل قصصي يقوم الحيوان فيه بالدور الرئيس وهو امتداد للأسطورة بصفة عامة،

ولأسطورة الحيوان بصفة خاصة ويستوعب فيما يستوعب الخرافة وملحمة الوحوش، وتعد حكايات الحيوان أول أشكال القصص التي عرفها الإنسان عند احتكاكه بظواهر الطبيعة المختلفة، فحاول أن يجد تفسيرات تلائم عقله البكر»[27].

إن القصص التي تجيء على ألسنة الحيوانات هي واحدة من أكثر القصص التي تشدّ الأطفال وتجذبهم، نظرا لتلك العلاقة الوشيجة بين عوالم الطفل، وعوالم الحيوانات، فمما لا جدال فيه أن للحيوان منزلة خاصة لدى الطفل، الذي يبدأ منذ مراحله الأولى في ملاعبة الحيوانات الأليفة، وهذا ما أدى إلى توظيف الحيوانات في قصص

الأطفال بطرائق شتى منها انطاق الحيوانات لتدخل في حوارات أثناء السرد مع الأطفال، والربط بينها وبين الطفل، ومن بين أنواع القصص الأخرى التي نجد الأطفال يُقبلون عليها القصص الخيالية التي من الأفضل أن تكون في نهايتها مُرتبطة بالواقع، ومن أهم القصص الموجهة إلى الأطفال القصة الواقعية التي قد تكون قصة تاريخية مستمدة من التاريخ العربي والإسلامي؛ بحيث تظهر قيم أخلاقية متعددة تتصل بالبطولة والشهامة والتضحية والفداء، وقد تكون قصة من الواقع الوطني المحلي أو العربي، بيد أن توظيف التاريخ في قصص الأطفال يكتسي أهمية استثنائية، ولذلك سنتطرق إليه بشيء من التفصيل والإسهاب، فاستلهام التاريخ، واستدعاء التراث يُمكن أن يتم تناوله من عدة جوانب متنوعة، ومختلفة، وذلك بالنظر إلى مضامينه الثرية، ومحتوياته الزاخرة بالأحداث، والتحولات، وفي هذا الصدد نشير إلى جانبين يُمكن من خلالهما تناول التراث، واستلهام التاريخ:

1-هناك تحقيق هذا التراث بطرائق علمية، ومنهجية، وتقديمه في طبعات تُسهم في ترغيب القارئ في قراءته، وليس مستبعداً أن نُلفي في هذا التراث المحقق ما يُمكن الإفادة منه، سواء أكان ذلك في الجوانب التطبيقية، أو العلوم الإنسانية، وهذا الجانب يتصل بشكل أساس بالباحثين في ميدان تحقيق النصوص، وتحليلها، ونقدها، وإيضاح العناصر الإيجابية فيها بغرض استغلالها، واستثمارها، وتبيين الجوانب السلبية قصد تجنبها.

2-وهناك جانب من التاريخ، والتراث يقع تجسيده، وتمثله من الجانب الفكري، أو الحضاري، وإعادة إخراجه في ثوب جديد، وصياغته في حُلة حديثة، على شكل نص أدبي في قصة، أو رواية، أو مسرحية، أو قصيدة شعرية مطولة، وهذا الجانب يتصل بالمبدعين الذي يجدون في التراث ميداناً فسيحاً، يُساهم في تنشيط خيالهم، فيُحلقون في أجواء الخلق الفني، انطلاقاً من الأحداث التاريخية الكبرى، أو الشخصيات المثيرة التي تكون بمثابة وعاء يصبون فيه ما لم يستطيعوا قوله صراحة، وعلناً.

ويصبح التاريخ، والتراث في بعض الحالات كالتنويم المغناطيسي تنساب عن طريقه المكبوتات، وتخرج من خلاله كوامن اللاشعور، وما ترسب فيه من عقد، وكبت، فالعودة إلى التاريخ، والتراث قد تكون في حالات معينة ضرباً من التقية، فتُصبح الكلمة رمزاً، والعبارة تغدو إشارة (28).

وتعد القصة، والخبر التاريخي، والحكاية الشعبية أشكالاً تعبيرية إنسانية كونية مهمة جداً، وتكتسي أهمية قصوى في الكتابة الأدبية الموجهة إلى الأطفال، وهي تندرج تحت لواء السرديات الكبرى، فهناك جملة من القواسم المشتركة بين القصة، والتاريخ، فقد وُلدت هذه الأشكال التعبيرية مع الإنسان، وعبرت عن هواجسه، وأفراحه، وأتراحه، وجسدت حالات نفسية واجتماعية مختلفة، والقصة التاريخية يجب أن ننظر إليها كبنية، ومنظومة منتجة لدلالات وأفكار قابلة للقراءة والتأويل، بالبحث في الامتدادات الثقافية التي تندمج فيها، وتتفاعل معها، من خلال تعالقها مع مجموعة من المرجعيات التي تتصل بالبنية الفنية الداخلية، والعناصر الخارجية التي يحيل عليها النص السردي، والتواصل، والتناصات، والسياقات التاريخية (29). فللقصة دلالة تاريخية، تظهر عن طريق استدعاء الماضي التليد، وتناوله من خلال منظار متميز، إذ أنها تتناص في إعادة بعث الواقع، وتحافظ كذلك على قيمتها

الفنية، تحقيقاً لرؤية جورج لوكاتش: «ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبرى، بل الإيقاظ الشعري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث » (30).

ومن المفيد أن نؤكد على أن توظيف التراث الشعبي في قصص الأطفال له مؤثرات عظيمة على الإبداع الفني، وعلى شخصية الطفل، كونه يتميز بتعدد أنواعه، وثراء أحداثه، وليس يخفى أن للقصة جُملة من المؤثرات النفسية والأخلاقية والاجتماعية لدى المتلقي صغيراً كان أم كبيراً، ولها مخاطر تبرز عندما ندرك دورها في غرس المفاهيم والقيم؛ إذ إن أهم الفلسفات والنظريات الرائجة، والتي أسهم بعضها في التأثير على مسار الأفكار وتطورها كانت مؤطرة بإطار قصصي، فالقصة تظل شكلاً من أشكال الأدب الشائق، فيه جمال ومتعة، وله عشاقه الذين يتجولون في رحابه الشاسعة الفسيحة على جناح الخيال، فالقصة فكرة ومغزى وأسلوب ولغة، وكل هذا له أثر في تكوين شخصية الطفل وصقلها، وتنمية مداركه، وإثارة خياله، وغرس القيم النبيلة، فضلاً عن جوانب الإمتاع والمؤانسة والتسلية، وهي تلعب دوراً مهماً في التربية ومواجهة نزعات الأطفال السيئة وحلها وتفكيكها، وهي(قصة الطفل) تعد ذخيرة لغوية لها شكل فني، من خلاله يتمكن الأديب من صياغة قضايا الحياة للأطفال بشكل ماتع وسار وشائق، ويسعى إلى تنمية الإحساس بالجمال وبالقيم الإنسانية من خير وسعادة، كما يُطلق العنان لخيالهم وطاقاتهم الإبداعية، وغرضه إغناء قاموسهم اللغوي، ورفد خزانهم المعلوماتي، وجميع هذه العناصر نلفيها مُجسدة في الموروث الحكائي الشعبي، الذي يعد أحد أهم مصادر أدب الأطفال على نحو عام، والقصص بشكل أساس، ولاسيما حينما يُحسن الأديب توظيفه، ويعرف الانتقاء، فموهبة الكاتب أو الأديب الذي يوظف التراث الشعبي مُهمة جداً، فالقاص المثقف يُحسن مراعاة مراحل نمو الطفل، وهذا العامل الرئيس في نجاح ذلك العمل القصصي، لأن فكرة أية قصة لا بد وأن تتلاءم مع مرحلة محددة من مراحل نمو الأطفال نفسياً وعاطفياً واجتماعياً وعقلياً، فضلاً عن المعايير المعاصرة لأدب الأطفال، على الرغم من أنه لم ينظر له من خلال عدة مصادر تراثية على أساس أنه أدب موجه للأطفال، ولكن تم تداوله من لدن الكبار بهدف الترويح عن أنفسهم أو تقويم ذواتهم والاسترشاد بها، وذلك يؤشر إلى حداثة أدب الأطفال، والحق أن التحدي الأبرز الذي يُواجه كاتب أدب الأطفال الذي يسعى إلى توظيف التراث الشعبي هو مدى مصادرة مرحلة الطفولة وخصوصياتها وهذا ما نلاحظه في عدة مأثورات من التراث الشعبي، فليس هناك في الوعي الشعبي وممارساته السلوكية واهتماماته من خصوصية لمرحلة الطفولة، ومتطلباتها النفسية والتربوية، فضلاً عن الأدب المناسب لهم(45)، وهذا يفرض على الأديب حُسن الاختيار والتبسيط، فتوظيف التراث الشعبي لا يُمكن إغفاله أبداً في مجال أدب الأطفال في الوطن العربي، ذلك أن الثقافة الشعبية، والأدب الشعبي العربي زاخر بالقصص النفيسة، والحكايات الثمينة، وهناك جملة من الاسباب الموضوعية التي تفرض دراسته، وتوظيفه، ومن بينها:

1-إن الأدب الشعبي صورة للشخصية الوطنية، ومهما كانت باهتة فهي أكثر وضوحاً من الصورة التي يعيشها الأدب المدرسي المثقف.

2-إن دراسته تعزيز لإقليمية الأدب، وتقرير لمذهبه الذي يعد منهاجاً للكشف عن أدب الأقاليم العربية المختلفة، وسبيل الأمة العربية إلى لم شتات أدبها المبعثر المجهول.

3- إن الأدب الشعبي مكمل للأدب المدرسي، وأن من شأن دراسته أن تُساعد على الربط بين الأدبين، واجتياز الهوة الكبيرة التي تفصل بينهما(31) .

ويُرجع الباحث مُحَمَّد التونجي مصادر الأدب الشعبي إلى فروع شتى عديدة ومتنوعة، وأهمها:

1-الحياة الجاهلية وأيام العرب، ومختلف الحروب التي خاضوا غمارها، وما جرى بها من مساجلات، ومغامرات، وأحداث متداخلة.

2-الحياة في عصري صدر الإسلام، والعصر الأموي، وما راج فيها، وعم من حُروب، وفتوحات، أو مجون، وانغماس بالملذات، إذ ظهرت أقاصيص الحُب كقصص المجون، بل قصص المجانين الذين وقعوا في الهوى.

3-الحياة إبان العصر العباسي، وما انتشر فيها من حضارة وترجمات فارسية، ووضع، وتأليف.

وعندما توقفت الفتوح، وانتشر بين الخلفاء، والأمراء حياة الدعة، والخلاعة، عكف الأدباء على تسجيل تلك الحكايات الشعبية لروايتها، وتسلية الناس بها، ولعل أبرز، وأشهر القصص الشعبية المأثورة، التي ألفها العرب: (قصة عنترة)، و(ذات الهمة)، و(سيف بن ذي يزن)، و(حمزة البهلوان).وبالنسبة إلى القصص المترجمة، والتي أضافوا إليها، فأشهرها على الإطلاق(قصة ألف ليلة وليلة).إلى جانب قصص قصيرة رويت كما هي، أو أُقحمت داخل ألف ليلة، وليلة، ومن بين المترجمات التي لقيت أصداء واسعة جداً، قصص(كليلة ودمنة) (32).
كما يُلاحظ أن الأدب الشعبي تميز بأسلوب يغلب عليه السجع غير المترابط، كما اتسم بتفكك الأفكار التي كثيراً ما ينقصها حسن الانسجام، أو حسن ربط المقدمات بالخاتمات، والبدايات بالنهايات، إلى جانب الخيال المجنح الذي يُحلق بالمستمعين نحو آفاق بعيدة جداً، ويحرص على جذبهم، بيد أنه يظل غير متماسك، وتبدو عليه علامات المبالغة الواضحة، والإفاضة، والتوسع، والاستطراد، غير أن هذا الأدب غدا، فيما بعد، نواة يستلهم منها الأدباء أدبهم، فأعادوا صياغته، وتشكيله، وحرصوا على تطويره، وقد ألفينا(محمود تيمور) في كتابه الموسوم ب: (دراسات في القصة والمسرح)' يذهب إلى أن مصطلح(الأدب الشعبي)قد تحوَّل في مدلولاته المعاصرة، والحديثة إلى ما يُدعى بأدب التفاهة، والابتذال، أو الأدب الرخيص، إلا أن مثل هذا الإطلاق لا يجوز-كما يرى الباحث مُحَمَّد التونجي-فالشعب لا يأبي الأدب الرفيع، والأدب الرخيص يُمثِّل مُستوى كتابه، لا مستوى الشعب، وما روائع الأدب العالمي إلا أساطير الشعوب، وأقاصيصها، وسر نجاح الأدباء العباقرة في استجابتهم للشعب، والشعب يستهويه أن يرى صورته في الأدب الفني، والإنسانية في الموضوع الأدبي تجعله شعبياً، وأخيراً الشعب موضوع الأدب، والأدب مرآة الشعب (33).

إن الأدب الشعبي فيه جملة من المشاعر الصادقة، والقيم النبيلة، مما يجعله مُنسجماً ومتوائماً مع القصص الموجهة للأطفال، كما أنه يُحافظ على رصيد غني من الألفاظ، والتعبيرات التي لم تعد مستخدمة، ومستعملة في الأدب الفصيح، فهو يؤدي رسالة مهمة بالنسبة إلى القضايا الدقيقة، والمسائل التاريخية، والاجتماعية، والدينية، وكذلك الشأن بالنسبة إلى التربية الروحية، بحيث يغدو النص الشعبي(وثيقة)يُعتمد عليها، وتُدرس نظراً لما فيها من أسماء، وتواريخ، ومناسبات، ومشاعر شعبية، وعاطفية ترتبط بكاتبها، أو راويها، ففي هذه الحالة تصبح الوثيقة لها وظيفة تكتسي أهمية بالغة، فهي تؤدي شهادة قوية جداً فيما يتعلق بالأحداث التي عاصرتها، وواكبتها، ولاسيما عند انعدام، أو قلة الوثائق الرسمية المكتوبة، والمدبجة في ذلك الزمن الذي يُشكل موضوعاً للدراسة، وتزداد أهمية النص الشعبي بصفته وثيقة يرتكز عليها الدارس، أو المحلل، أو الباحث عند تضارب الآراء والروايات، وكثيراً ما يُعبر الشعراء عن المعاناة، أو عن الافتخار بالجهاد، وببطولات أبناء وطنهم، وبالجهاد، والاستشهاد، ووصف المعارك، والإعجاب بمختلف القادة في الميدان العسكري.

أما في المشرق العربي فقد تركت الحروب الصليبية ثروة من الأدب، والتاريخ الشعبي، كما خلفت حملة نابليون على مصر تراثاً زاخراً، وذخيرة موسوعية ما يزال المصريون يستمدون منها شهادات عديدة، مثل: كتابات عبد الرحمن الجبرتي، وقوة تعبير الأدب الشعبي، شفوياً وكتابياً، ترتكز على نبض المجتمع، ولاسيما وقت الأزمات، والثورات، ومنها ربما أن الأدب الفصيح يتسم بكونه أدباً نخبوياً في نظر البعض، أو يتميز بالطبقية، حيث إنه يترفع عن النزول من السماء إلى الأرض، وقد لا يهتم بحراك الشارع، وقد يكون عاجزاً عن التعبير عن نزعات النفس الجماعية، ومن بين أسباب رواج الأدب الشعبي أن أغلبية الناس(العامة) تفهمه في منطقته، ويتذوقونه، وينفعلون به، ويتفاعلون معه، وهذا ما نبه إليه ثلة من أنصار الأدب الشعبي، وأكدوا عليه، حيث إنهم يشيرون إلى أن بعض المؤسسات الدينية كالزوايا، وبعض الهيئات كالأحزاب، والجمعيات، تستعمل الأدب الشعبي من أجل ترويج تعاليمها(أيديولوجيتها)بين أكبر قدر ممكن من الناس، ولعل من أبرز سمات، وخصائص الأدب الشعبي، وخاصة الشعر منه، أنه أداة توظف الرمز، أو وسيلة للتعمية، وذر الرماد في العيون، حينما ينتشر الخوف، ويضمر توهج الحرية، فالأجانب على سبيل المثال قلما يحسون بمعانيه، ويعرفون أهدافه، ويتذوقون أبعاده، ويفسرون خباياه، ويكشفون النقاب عن دلالاته، ومن ثمة تفوت عليهم فرصة إدانة أصحابه، ومبدعيه على موقف معين، في حين أن الناس الذين يوجه إليهم الخطاب يفهمون رموزه، ويدركون معانيه، وأهدافه، ويستجيبون لندائه، رغم ما يكتنفه من غموض، وألغاز– ما زالت موضع دراسة إلى يومنا هذا–، لأنهم يدركون بالحس، والذوق أكثر ما يدركونه بالأذن، والعين(34).

إن الحكاية الشعبية تعد شكلاً خاصاً من أشكال القصة، التي تتجاوز حقل الأدب إلى حد بعيد، فهي إحدى المقومات الرئيسة التي تُمكننا من إدراك الحقيقة، انطلاقاً من بداية فهمنا للكلام، فالقصة ترتبط بطفولتنا، وتُحيطنا من كل جانب دون انقطاع، في الأسرة أولاً، ثم في المدرسة، ثم من خلال اللقاءات، والمطالعات، وهي

تقترب من العمل التاريخي الذي يشدنا نحو الحقيقة، إذ تعتمد دائماً على مصدر خارجي واضح وبيّن، ولذلك فالقصة هي أسمى حقل للحوادث الحسية، وأسمى بيئة تُبحث فيها الطريقة التي تظهر لنا فيها الحقيقة، والعمل على الشكل في القصة يكتسب أهمية كبيرة، وتطبيق القصة على الحقيقة هو أمر في منتهى التعقيد[35]. ونُلاحظ أن النثر الشعبي موظف بكثرة في الكتابات القصصية الموجهة للأطفال، وهو قسم من الأدب الشعبي، يُعبر به الشعب عن هواجسه، وخلجاته النفسية، ومداركه الوجدانية العقلية، وذلك بأسلوب غير خاضع لقانون الإيقاع المتسم بالتناسق، إلا ما جاء عفو الخاطر، ولا ريب في أنه بفضل مرونته، وسهولته، يُتيح التفاهم، والتعبير بدقة عن حقيقة الأشياء، ومن أهم مميزات الحكاية الشعبية السرد المتحرر من الواقع باعتماد العجائب، والخوارق، وإيجاز خصائص الشخصيات، والإكثار من الأحداث، والمغامرات، والاعتماد على التبسيط، والجنوح إلى المعنى الرمزي، والابتعاد عن الخوض في التفاصيل، لتبقى الحكاية بعيدة عن الواقع، وإبراز شخصية البطل، وهي تمثل مختلف معاني المهارة، وتضمين الحبكة جملة من الأبعاد الفلسفية، والخلقية التي من شأنها أن تؤثر في نفوس القراء[36]، وجميع هذه العناصر وجدناها متوفرة في كتابات أدبية وقصصية موجهة إلى الأطفال، حيث لاحظنا توظيف مختلف أنواع، وأشكال النثر الشعبي، مثل: الأسطورة، والخرافة، والحكاية، والمثل الشعبي، ومن أكثر الأمثال الشعبية الموظفة، تلك الأمثال المتصلة بمجالات الحياة مثل: القضاء والقدر، والعناية الإلهية، وتصاريف الدهر، والفعالية، والإخلاص في العمل، والاعتراف بالجميل، وعزة النفس، والكرم والجود، والحكمة والاستقامة، وحُسن المعاملة، ورجاحة العقل.

إن ثنائية القصة والتاريخ، أو القصة والتراث في النصوص الموجهة للأطفال، هي واحدة من القضايا التي طرحها بعض النقاد ضمن جملة من الإشكاليات التي تتصل بالسرد والتاريخ، والسرد التاريخي، وقد بدأت القصة العربية الجديدة تعتمد بصورة كبيرة على المادة التاريخية، وقد جاءت بعض التنظيرات لتقدم مفهوم التخيل التاريخي بصفته نوعاً بديلاً عن الرواية التاريخية، من لدن الذين يرفضون مفهوم«القصة التاريخية»، التي ساهمت في تطوير العلاقة بين السرد القصصي والتاريخ، من خلال تقديمه من زوايا جديدة، وبرؤى متنوعة، والعلاقة بين السرد، والتاريخ ضاربة جذورها في القدم، فالأساطير، والأخبار تؤكد هذه العلاقة ذات البعد المرجعي، فما نعتبره نحن اليوم أساطير، وخرافات، كان القدماء يعتبرونه حقيقة، وواقعاً، وتظهر قوة العلاقة بين السرد والتاريخ في ذلك الاتصال الوثيق بالخبر، إذ أن السرد، وبصرف النظر عن نوعه، يرتبط بحكي قصة واقعية، أو متخيلة، والتاريخ هو سرد وقائع، وأحداث يفترض أنها حقيقية، كونها حدثت بالفعل في زمن ما، غير أن حقيقية هذا السرد تظل تثير مجموعة من التساؤلات المعرفية، والأسئلة الشائكة التي تتصل بمدى مطابقتها لما جرى، أو وقع فعلاً في مرحلة من المراحل، فقد يكون الحدث واحداً، بيد أن طريقة تناوله تتعدد، وطريقة تقديمه، وتأويله تختلف باختلاف المؤرخين، وأهوائهم، وهنا يأتي دور عالم التاريخ في التأمل، والتدقيق بحثاً عن الحقيقة التاريخية[37]. أما عالم السرد، أو السرديات بصفتها علماً يدرس قضايا السرد، فهو كذلك يُسائل العمل السردي أياً كان نوعه، وهو بصدد البحث عن الإجابة على السؤال العام، والضمني، والجوهري: لماذا نكتب قصة؟ أو نكتب رواية؟ أو لماذا نقرأ رواية ونحن

على يقين بأنها خيالية؟ كما يتم إدراج العمل الذي يضطلع به الإخباري، والمؤرخ ضمن: «الخطاب التاريخي» كونه يهتم برصد أحداث وقعت في الماضي، ويُصنف العمل السردي المنجز من طرف الروائي، وقد بناه على المادة التاريخية في إطار: «الرواية التاريخية» سواء وعى الروائي ذلك، أم أنه ليس على علم، والعلاقة بين السرد في التاريخ، والقصة تُشجع الباحث على ضرورة التمييز بين السرد التاريخي، والسرد القصصي، فلكل منهما سمات وسياقات محددة أسهمت في تشكيله، وتطوره [38].

خاتمة:

إن القصة تعد من أكثر الأشكال الفنية المحببة إلى نفسية الطفل، وهي الجنس الأدبي والشكل الفني الأكثر انسجاماً مع دلالات وأبعاد وماهية أدب الأطفال، وذلك من حيث ملاءمتها لخصائص الطفل، ومراعاتها لحاجاته ومستوى نموه، ومن حيث قدرتها على احتواء مختلف المعاني والأفكار والمشاعر، فالكتابة للأطفال تقتضي وجود وعي بشتى الأبعاد الحضارية والثقافية، والقدرات الجمالية والنفسية لدى المتلقي، ومن حيث استطاعتها تجسيد مختلف الاعتبارات التربوية والسيكولوجية، والاعتبارات الفنية والتكتيكية المحببة لدى الطفل القارئ، فالسرد القصصي له إمكانيات كبيرة على التأثير من خلال الحبكة القصصية الممتازة، التي تخلق المتعة والتشويق لدى الطفل، كما أنها تتسم بالسهولة والوضوح، وللقصة الموجهة للطفل جملة من الأهداف الكثيرة منها: التربوية والتعليمية والترفيهية، ومن شأنها أن تحقق النجاح من حيث الأسلوب[39] واللغة والمضمون فتؤدي إلى إثارة تفكيره، وتشجيعه على البحث والاكتشاف، فالقصة لا ينحصر تأثيرها في نفوس الأطفال «من خلال سردها أو قراءتها، بل إنهم كثيراً ما يُقلدون أقوال ما يجري في القصة وما فيها من أحداث وسلوك وأخلاق، والقصة تُحرر السامع من واقعه وحدوده إلى عوالم أخرى فسيحة يرى ويسمع ويُشاهد بيئات ونماذج كثيرة من الناس الذي يرى فيهم الطفل المثل والقدوة، فمثلاً يمكنه بواسطة القصة الناجحة أن يعيش مجالس النبوة، ويحضر أحداث السيرة»[40]. كما ترسم القصة ظلال الفترة التاريخية التي تجري فيها الأحداث، وتتميز بثراء عناصرها الفنية، كما أنها غنية جداً بالعنصر الإنساني، وحافلة بالانفعال والحركة، وهي شكل من أشكال الأدب المحبب جداً لدى الطفل، ويتوافق مع عوالمه النفسية بسبب توفره على عناصر الإمتاع، والجمال، ومن أبرز العناصر التي يجب مراعاتها عند إبداع العمل القصصي وتوجيهه إلى الأطفال أن تكون هناك أشكال متعددة ومختلفة من الشخصيات التي توظف من أجل إثراء البناء الفني للقصة، فهناك صلات وثيقة بين الخيال والشخصيات الموظفة، ويجب التمييز بين وجود شخصيات مرجعية التي تُعد من العناصر البارزة التي تكون السرد القصصي، وتشكل محوراً رئيساً من محاور الصراع الذي يدور في النص السردي، ولعل الشخصيات المرجعية هي الأكثر توظيفاً في السرد القصصي الموجه للأطفال، حيث إن الشخصية المرجعية تقترب في بعض أبعاد دلالاتها من الشخصية الواقعية التي لها حضور في التاريخ، ولها سيرة معروفة ومتداولة في الأمة أو الوطن الذي تنتمي إليه مثل شخصية الأمير عبد القادر الجزائري، فهي شخصية يمكن وصفها بالشخصية الخالدة في تاريخ البلاد العربية والإسلامية، وقد كان لها حضور

سابق في الواقع في زمن ما، وقد اجتهد مجموعة من كُتّاب أدب الأطفال في الإفادة من التاريخ فاستندوا على بعض مكوناته وعناصره وقاموا ببلورتها في كتابة أدبية مخضلة بالفن والجمال والأناقة، كما لا يُمكن إغفال الشخصية في الأعمال القصصية الموجهة للأطفال، فهي التي تكون واسطة العقد، وهي التي تصطنع اللغة، وتلطف وتستقبل الحوار إضافة إلى اصطناعها للمناجاة، أو الحوار الداخلي، وهي التي تضطلع بوصف مختلف المناظر التي تستهويها، فضلاً عن أنها تُنجز الحدث، كما تنهض بدور تنشيط الصراع في القصة من خلال سلوكها وأهوائها وعواطفها، كما تنصب عليها مختلف العقد وتشغل مساحة وحيزاً معيناً، وتُعمر الأمكنة، وهي التي تملك الوجود صياحاً وضجيجاً، كما تتفاعل مع الزمن في أبرز أطرافه الرئيسة: الماضي والحاضر والمستقبل، ولا أحد من المكونات السردية الأخرى في القصة يُمكن أن يقتدر على ما تقتدر عليه الشخصية، فاللغة وحدها تستحيل إلى سمات خرساء لا تكاد تضم وتحتوي شيئاً من الحياة والجمال، في ظل غياب وجود الشخصية، وكذلك الشأن بالنسبة إلى الحدث الذي يقتضي تركيزاً كبيراً من لدن المؤلف ويستحيل أن يُوجد في معزل عن الشخصية، لأنها هي التي تنهض به نهوضاً عجيباً، كما أن الفضاء يخمد ويخرس إذا لم تسكنه الشخصيات، فلو ذهبت الشخصية عن أي قصة قصيرة لصنفت ربما في جنس المقالة التي تتناول فكرة مصغرة، وتصطنع شيئاً كثيراً من الخيال[41].

إن من أهم العناصر الأساسية التي يجب أن يتوفر عليها العمل القصصي الفني: الموضوع والبناء والحبكة والشخصيات والأسلوب، وهذه العناصر يفترض أن يُوليها الأدباء الذين يكتبون للأطفال عناية خاصة، فالموضوع يتصل بالفكرة الرئيسة التي تبنى عليها القصة، وهي تمثل أساسها وعمودها الفقري، بل يرى بعض النقاد أنها تشبه الجنين التي تضمه النبتة الكاملة، والأديب الناجح هو الذي يعرف كيف ينتقي موضوعه، ويكشف النقاب عن الفكرة المناسبة التي تحتويها قصته، فأدب الأطفال يرتبط بأهداف وغايات ومن هنا فتحديد الفكرة مُهم جداً، كما أن اختيارها يُميط اللثام عن هدف المؤلف وغايته، والفكرة الجيدة هي التي تركز على الأمور الأساسية التي يصبو إليها المربي، والمعلم، ورب الأسرة، ويُحب أن يراها مُجسدة في شخصية الطفل، فمن المهم جداً أن تتسم الفكرة بالصدق الذي يترك أثره في الطفل خلال قراءته أو سماعه لها، أما البناء والحُبكة في القصة الموجهة للأطفال فلابد أن يُتقن الأديب الذي يكتب للطفل صناعة سلسلة من الحوادث التي تشكل بنية القصة، وهذه الحوادث من الأحسن أن تكون متلاحمة ومتداخلة وليست بعيدة حتى لا يحس القارئ بالتفكك، وينصرف عنها الطفل، فالترابط والتسلسل يؤدي إلى الوصول للنتائج من خلال الأسباب التي رسمتها الحوادث، والحبكة هي إحكام بناء القصة بطرائق منطقية ومُقنعة، فتكون الحوادث والشخصيات مرتبطة ارتباطاً منطقياً، مما يجعل من مجموعها وحدة متماسكة الأجزاء، فحُبكة القصة المتميزة هي التي تنهض على التخطيط الجيد للحوادث، والذي يبدأ منذ البداية، ويتطور ويتنامى، إلى غاية الوصول إلى مرحلة تأجج الصراع حتى القمة[42]، ويكون هذا النمو عن طريق خلق حالة صراع، أو من خلال التكرار والتناقض والتضاد، ومن حيث المضمون يُفضل إثراء الأعمال القصصية الموجهة للأطفال بأحداث تاريخية وتراثية تكشف عن البطولات العربية والإسلامية، مما يؤدي بالطفل إلى الاعتزاز بشخصيته العربية الإسلامية، حيث إن هناك علاقة جدليّة، وحوارية بين الفن القصصي والتّاريخ، والكتابة

الأدبية، فالفن مادّة من مواد الكتابة التاريخية، والتّاريخ بدوره يشترك مع الفن في دعائمه الثّلاث: الإنسان، والزمان، والمكان، ويحضر دائماً في هذه المعادلة الجانب الجمالي والذوقي، ويرتبط التذوق بجملة من الجوانب الجمالية، فتذوق الشيء، يُقصد به كما يرمي إلى ذلك جاكبسون في معرض حديثه عن التذوق، هو إدراك قيمته إدراكاً يجعلنا نشعر به شعوراً شخصياً مُباشراً، وفي الآن نفسه نشعر حياله برابطة وجدانية، تدفعنا لتقديره، وحُبه، والاندماج فيه بحرارة، وحماسة بسبب الجمال الذي أضفاه على أنفسنا، وللتذوق على هذه الصورة أهميته الخاصة في مجال التربية، وذلك لجملة من الأسباب منها:

1-إنه يحوي بين طياته إدراكنا لقيمة الشيء، وتعلقنا الوجداني به، ومن الطبيعي أن يكون أعظم رسوخاً في النفس، وأطول بقاءً، وأكبر تأثيراً من سواه من الأمور التي يتعلمها الفرد...

2-إن اللغة، وما تضمه من تراث أدبي، هي وسيلة من الوسائل التي تُمكننا من معرفة عالمنا الحاضر، وماضيه، ومن خلالها يصل إلينا التراث الإنساني، وما لم نصل إلى درجة مناسبة من فهم اللغة الجمالية، وتذوقها، فلن نتمكن من فهم هذا التراث، وتذوقه حق التذوق.

3- على الإنسان أن يعنى بانتقاء ألفاظ لغوية لها جمالية، وفهم دقائقها، واستعمالها بوضوح، وتحديد، وهو أمر لا يتم بصورة مرضية ما لم نصل إلى مرحلة التذوق الجمالي للغة.

4-للتذوق صلته الوثيقة بالتذوق السليم، وتكرار التذوق يُمكن الفرد من معايير ذوقية، وجمالية سلبية قد تنعكس على تصرفاته الأخرى، فنراه يُحسن التمييز، فيقدر كل ما هو جيد، وجميل، ويهدف في عمله إلى الإجادة، والإتقان.

5- ولا ريب في أن التذوق اللُّغوي يزيد من استمتاع الفرد بلغته الجميلة، حينما يستعملها في الحديث، أو الكتابة، أو القراءة، وقد يفتح له آفاقاً رحبة فسيحة في رياض الفكر، وحدائق الأدب الغناء(43)، وآفاق العلم، والمعرفة .

إن أدب الأطفال بمفهومه البسيط يُعد شكلاً من أشكال التعبير الأدبي له قواعده وطرائقه ومناهجه، وذلك على شتى المستويات، ولاسيما ما يتصل باللغة التي يقتضي أن تتوافق مع قاموس الطفل، ومع الحصيلة اللفظية، ومع العمر الذي تتوجه الكتابة الأدبية له، وهناك مجموعة من الشروط المتعارف عليها التي تتصل بالمضامين التي يتوجب بثها في النصوص الأدبية، وبمدى انسجامه مع كل مرحلة من مراحل العمر الطفولي، ولصياغة قصة أدبية للأطفال ينبغي مراعاة مجموعة من العناصر المتعلقة بالأداء وجماليات الأسلوب، والذوق، وطرائق البناء الحكائي في صياغة القصة، وقد وجدنا الباحث مُحَمَّد السيد حلاوة يُعرِّف الكتابة الأدبية الموجهة للأطفال بأنها: «خبرة لغوية لها شكل فني، ممتعة وسارة يُسر بها الطفل ويتفاعل معها، فتُساعد على تنمية حسه الفني والسمو بذوقه الأدبي ونموه المتكامل، فتُسهم بذلك في بناء شخصيته وتحديد هُويته وتُعلمه فن

الحياة»[44].وتظل الغاية المنشودة من الإبداع الأدبي الموجه للأطفال هي تحقيق الإمتاع الفني والأداء الجمالي، وقد ألفينا من يُحدد المعنى العام لأدب الأطفال[45] بأنه يؤشر إلى الإنتاج العقلي المدون في كتابات أدبية مُنمقة موجهة إلى الأطفال عن طريق مُقررات تربوية ومدرسية، أو من خلال القراءة الحُرة، بيد أن المعنى الخاص لأدب الأطفال[46] يحوي في طياته الكلام الجيِّد الجميل الذي يؤثر في الأنفس ويُحدث مُتعة فنية، كما يؤدي إلى إثراء الفكر، سواء أكان أدباً شفهياً بالكلام، أو تحريرياً من خلال الكتابة، ومن أبرز أنواعه: الأناشيد والأغاني والقصص والمسرحيات' والحق أن شغف الطفل بقراءة القصص يُسهم في تطوير مهارات القراءة لديه، ويُساعد على امتلاكه قدرات متميزة، ومن الأفضل أن يتميز الأسلوب بالخيال والتشويق.

الإحالات والمراجع:

(1)د.عبد الحميد بورايو:البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 1429 هـ-2008م، ص:5.

(2)د.سليمان عشراتي:الخطاب القرآني-مقاربة توضيحية لجمالية السرد الإعجازي، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998م، ص:12.

(3)د.أحمد زياد محبك:القصة: دراسة وتحليل، منشورات دار العزة والكرامة للكتاب، وهران، الجزائر، ط:01، 1439هـ/2018م، ص:5 وما بعدها.

(4)د.عزيزة مريدن:القصة والرواية، منشورات مؤسسة دار الفكر، دمشق، سوريا، 1400هـ-1980م، ص:12.

(5)د.محمد زغلول سلام:دراسات في القصة العربية الحديثة أصولها واتجاهاتها وأعلامها، منشورات منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، 1987م، ص:12.

(6)كامل درويش والخوري طانيوس منعم:فن القصة أكمل فنون الأدب، سلسلة فنون وأعلام، منشورات المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، لبنان، 1982م، ص:27.

(7)د.محمد زغلول سلام:دراسات في القصة العربية الحديثة أصولها واتجاهاتها وأعلامها، ص:6.

(8)كامل درويش والخوري طانيوس منعم:فن القصة أكمل فنون الأدب، سلسلة فنون وأعلام، ص:28 وما بعدها.

(9)د.عبد الرحمن عبد الخالق: دور قصص الأطفال في تنمية الطفل، منشورات دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ضمن سلسلة كتاب الرافد، العدد:116، أبريل2016م، ص:163 وما بعدها.

(10)الجمال بمفهومه العام والسطحي عبارة عن عملية تأثرية ناتجة عن رؤية وتبصر في الأشياء الجميلة، ومنذ العصور التليدة اهتم فكر الإنسان بقضية الجمال، وما يزال مشغوفاً بها إلى أيامنا هذه، ويبدو أنه سيظل كذلك إلى النهاية، وللجمال جملة من الأبعاد المعرفية الخاصة، التي تقتضيها طبيعة الثقافات الاجتماعية، وهو ينعكس على مختلف مجالات الحياة الإنسانية، وخاصة في أنواع الفنون لديها، ولكل حضارة مفهوم للجمال ينسجم مع نظرية المعرفة فيها، ويعكس ثقافتها.

(11) إن الفن بالمعنى العام هو مجموعة من القواعد المتبعة من أجل تحقيق غاية معينة، جمالاً كانت، أو خيراً، أو منفعة، وإذا كانت تلك الغاية في تحقيق الجمال سمي بالفن الجميل، وإذا كانت تحقيق الخير سمي الفن بفن الأخلاق.

(12) د.خلدون الشمعة:الجذور المعرفية والإبداعية لأدب الأطفال، دراسة منشورة في مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق، سوريا، العدد:95، آذار-مارس1979م، ص:10.

(13) د.خالد صلاح حنفي:مقومات الكتاب الجيد للطفل، مجلة العربي، مجلة ثقافية شهرية تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد:712، مارس2018م، ص:170.

(14) د.جلال فاروق الشريف:تطوير أدب الأطفال: تحد مطروح على الكتّاب في سوريا، مجلة الموقف الأدبي، العدد:95، آذار-مارس1979م، ص:10.

(15) د.عبد الله محمّد الدرويش:الأطفال الطريق إلى المستقبل، منشورات مؤسسة دار البدر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 01، 1437هـ/2016م، ص:39 وما بعدها.

(16) شريف عبد المجيد:آراء وأفكار في كتابة قصص الأطفال، مجلة آمال، مجلة أدبية ثقافية تصدر عن وزارة الاتصال والثقافة بالجزائر، العدد:66، عدد خاص بأدب الأطفال، 1999م، ص:74.

(17) د.محمّد مرتاض:من قضايا أدب الأطفال، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، ط:01، 1994 م، ص:142.

(18)عبد الباقي يوسف:دور أدب الأطفال في تنمية مواهب الأطفال، مجلة البحرين الثقافية، مجلة دورية تصدر عن قطاع الثقافة والتراث الوطني بوزارة الثقافة، المنامة، مملكة البحرين، المجلد:19، العدد:70، أكتوبر2012م، ص:37 وما بعدها.

(19) د.يوسف نوفل: القصة وثقافة الطفل، منشورات مؤسسة دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 1435هـ/2014م، ص:16.

(20) أحمد حسن الخميسي:تربية الأطفال في وسائل الإعلام، منشورات دار النهار للنشر والتوزيع بالاشتراك مع دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط: 01، 2014م، ص:132 وما بعدها.

(21) د.موفق رياض مقدادي: البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، منشورات سلسلة عالم المعرفة، الكويت، الطبعة الأولى، شوال1433هـ/ سبتمبر2012م، ص:47 وما بعدها.

(22)أحمد نجيب: فن الكتابة للأطفال، منشورات مؤسسة دار اقرأ، ط:03، 1406هـ/1986م، ص:110.

(23) د.يوسف نوفل: القصة وثقافة الطفل، ص:47 وما بعدها.

(24) د.موفق رياض مقدادي: البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، ص:48 وما بعدها.

(25) د.سمير شريف استيتية: علم اللغة التعلّمي، منشورات دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع اربد، الأردن، ط:01، 2002م، ص:151 وما بعدها.

(26)د.فهيم مصطفى محمّد: الطفل ومهارات التفكير في رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية-رؤية مستقبلية للتعليم في الوطن العربي-، ص:67 وما بعدها.

(27)د.زهرة إبراهيم الخالدي:الموروث الشعبي الحكائي في قصص الأطفال، منشورات دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط:01، 2013م، ص:65.

(28) جمعة شيخة:الأندلس من خلال رواية: (مدينة بلا يوم) لمحمد سعد برغل، مجلة دراسات أندلسية، مجلة علميّة مُحكّمة في الدّراسات المتعلقة بإسبانيا الإسلاميّة، تونس، العدد المزدوج:47-48، محرم1434هـ/ديسمبر2012م، ص:15.

(29) محمّد يوب: القصة القصيرة جداً الخروج عن الإطار، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 2015 م، ص:23 .

(30) جورج لوكاش:الرواية التاريخية، ترجمة:د.صالح جواد الكاظم، وزارة الإعلام، بغداد، 1978م، ص: 46.

(31)د.زهرة إبراهيم الخالدي:الموروث الشعبي الحكائي في قصص الأطفال، ص:23 وما بعدها.

(32)مصطفى يعلى: نحو تأصيل الدراسة الأدبية الشعبية في المغرب، نموذج(من وحي التراث)، دراسة منشورة ضمن كتاب: الأدب المغربي:إشكالات وتجليات(دراسات مهداة للأستاذ عباس الجراري)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة مُحَمَّد الخامس، المملكة المغربية، 1427هـ/2006م، ص:157.

(33) د. مُحَمَّد التونجي:المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ج:01، ط:01، 1993م، بيروت، لبنان، ص:57.

(34) المرجع نفسه، ص:58.

(35) د.أبو القاسم سعد الله: حاطب أوراق، منشورات دار عالم المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط:01، الجزائر، 1431هـ/2010م، ص:106 وما بعدها.

(36) ميشال بوتور:بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة:فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط:02، 1982م، ص5.

(37) رابح العوبي:أنواع النثر الشعبي، ص:40.

(38) سعيد يقطين: السرد التاريخي، مقال منشور في جريدة القدس العربي، لندن، بريطانيا، بتاريخ:21جوان2017م، ومقال آخر بعنوان:السرد والتاريخ:منشور في جريدة القدس العربي بتاريخ:29أوت2018م.

(39) سعيد يقطين: السرد والتاريخ:منشور في جريدة القدس العربي، لندن، بريطانيا، بتاريخ:29أوت2018م.

(40)مصطلح(الأسلوب)، له مفاهيم متعددة، وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى قول عبد القاهر الجرجاني في تعريف الأسلوب: «إن الأسلوب هو المذهب من النظم والطريقة فيه»، ومثل هذا ما ذهب إليه أحمد الشايب من بعد، فقال: «هو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ، وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح، والتأثير أو هو الضرب من النظم، والطريقة فيه».أما مُحَمَّد منذور فعرّفه بقوله: «ليس المقصود بالأسلوب طرق الأداء اللغوية فحسب، بل المقصود منحى الكاتب، وطريقته في التأليف، والتعبير، والتفكير، والإحساس على السواء، بحيث إننا إذا قلنا: إن لكل كاتب أسلوبه يكون معنى الأسلوب كل هذه العناصر التي ذكرناها» ' أما توفيق بكار فعرّفه بقوله: الأسلوب – اصطلاحا- هو المذهب في التعبير، تحدده مجموعة مطردة من العلاقات المميزة، تتوزع عل كافة مستويات الكلام، وتعكس نوعية التعامل بين الكاتب واللغة.

(41)د.مُحَمَّد حسن بريغش: أدب الأطفال: تربية ومسؤولية، منشورات دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط: 01، 1412هـ/1992م، ص:149.

(42)د.مُحَمَّد حسن بريغش: أدب الأطفال: تربية ومسؤولية، ص:152 وما بعدها.

(43)أحمد نجيب: فن الكتابة للأطفال، ص:110.

(44)أحمد نجيب: فن الكتابة للأطفال، ص:122.

(45)مُحَمَّد السيد حلاوة: أدب الأطفال: مدخل نفسي اجتماعي، منشورات مؤسسة حورس الدولية، القاهرة، مصر، ط: 01، 2002م، ص:60.

(46)سعد أبو الرضا: النص الأدبي للأطفال:أهدافه ومصادره وسماته-رؤية إسلامية-، منشورات دار البشير، عمّان، الأردن، ط:01، 1993م، ص:28.